مستويات استعمال اللغة العربية الحديثة

The Levels use of language in modern Arabic

عبد الرؤوف محمدي اسم ولقب[*](1)

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة

mohamdiraouf@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/03/10	تاريخ القبول:2024/05/20	تاريخ النشر:30/06/2024

الملخص:

إن الواقع اللغوي للعربية وما نتج عنه من إشكالات تختص بالاستعمال في المؤسسات الرسمية، والمدارس، والجامعات، وفي لغة التخاطب اليومية الذي نلمس أثره ونلاحظه في بعض الظواهر اللغوية، كالثنائية، والازدواجية اللغوية، والتعدد اللغوي وغيرها... دفع بكثير من الباحثين إلى تصنيف استعمال اللغة العربية إلى مستويات يتجاذبها طرفان أساسيان هما الفصحى والعامية.

نتعرف في هذا المقال على أهم التقسيمات التي اعتمدت في تصنيف مستويات استعمال اللغة العربية في الوطن العربي، وفي الجزائر والتي انطلقت من تقسيم فيرغسون الذي يرتكز على نمطين أساسيين هما: النمط العالي، والنمط المنخفض.

الكلمات المفتاحية: مستويات . لغوية . فصحى . عامية . عربية . ثنائية . ازدواجية.

Abstract :

Arabic languages situation in which is used in official institutions, schools, and universities, as well as in daily communication, has resulted issues, that we notice its effects on some linguistic phenomena, such as dualism, bilingualism, multilingualism, etc. Leading the researchers to divide the use of Arabic language is divided into tour main levels: standard Arabic language, vernacular Arabic language.

* المؤلف المرسل

This paper aims to know about the most important divisions that have been adopted in classifying of the levels use of language in the Arab world and Algeria. That have relied on Fergusons taxonomy which is based on two basic patterns: the high pattern and the low pattern.

key words: Levels - Linguistic - Classical - Colloquial - Arabic - Duality.

1.مقدمة:

من طبيعة اللغة التغيّر بفعل عوامل كثيرة، ولا شك أن من أهم العوامل المؤدية إلى ذلك هو الاستعمال واختلاف الأداءات وتنوعها، واحتكاك الشعوب ببعضها، بالإضافة إلى عاملي الزمن والجغرافيا. ونتيجة لذلك فقد ظهرت مستويات لغوية في العربية يتجاذبها طرفان أساسيان هما: الفصحى والعامية، وإن تعددت تقسيمات الباحثين للمستويات اللغوية فإنها لم تستطع التخلص من الانتماء للمستويين الرئيسيين (فصحى وعامية) إن قربا أو بعدا.

فاللغة البشرية إذاً ليست ثابتة بل هي خاضعة لبعض السنن الكونية كالتحول والتبدل، غير أن هذا التحول لا يشعر به الناطقون بها وإنما يتفطن إليه اللغويون والمتخصصون الذين يدركون بأن اللسان وضع واستعمال[1] ونظام اللغة الخاضع للاستعمال ليس بمنأى عن التغيير بفعل ذلك الاستعمال إذ "الغاية من استعمال اللغة هو التواصل وهذا ما يحتاج إلى نظام متماسك من الرموز المتباينة إلاّ أن الاستعمال فعل محكم وكل فعل فهو مكلف ، فإذا كانت الكلفة باهظة أو تتجاوز الفائدة فيضطر المستعمل إلى التخفيف من جهوده العضلية والذّاكرية ، وهذا هو السبب الأهم في تحول اللغة من نظام إلى نظام آخر"[2]. وعلى هذا الأساس فإن ظهور العاميات مرتبط بالحاجة إلى استعمال لغوي جديد يقل الالتزام فيه بقواعد اللغة وضوابطها، ولا يخضع في عمومه لقوانين الفصحى الصارمة. ومن أسباب هذا التغيير كذلك "هو المحافظة على النظام اللغوي لأنه لا بيان و لا تبليغ إلا بنظام منسجم من الرموز وهذا ما يؤدي إلى ترميم المجتمع لنظام لغته التي أصيبت بشيء من الاختلال في نظامها بسبب التحول المشار إليه...وهذه الظواهر التحويلية هي جد طبيعية ولا يشعر بها الناطق والعاميات هي نتيجة لهذا التحول الزماني" .[3]

نهدف في هذا البحث إلى معرفة الفوارق التي تظهر بين اللغة الأولى(الأصل) وما يتفرع عنها من عاميات ينتج عنها ما يعرف بالمستويات اللغوية ؛ وهي الاختلاف في استعمال اللغة من حيث الضبط في الكلمات، أو من حيث تقديم الحروف أو استبدال حرف بحرف في كلمة واحدة، أو استبدال كلمة بكلمة عربية أو أجنبية، ويبدو هذا الاختلاف عند النطق والكتابة في لغة واحدة أي ما يرتبط بالناحية

الوظيفية للغة ومختلف أداءاتها لدى الأفراد الناطقين بها. فوجود أكثر من مستوى للأداء اللغوي أمر طبيعي باعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية والمجتمع أو المجتمعات تتفاوت في مستوياتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، واللغة مرآة كل هذه الأبعاد[4].

من خلال ما ذكرنا آنفا يمكن لنا أن نطرح إشكالية البحث التي أوجزناها في السؤال الآتي: ما أهم تصنيفات مستويات استعمال اللغة العربية الحديثة من وجهة نظر الباحثين العرب؟.

2. مستويات استعمال اللغة عند الغربيين

قسّم الغربيون مستويات استعمال اللغة انطلاقا من دراساتهم لبعض الظواهر اللغوية كالثنائية والازدواجية والتعدد اللغوي، فيما يلي سنوضح مفهوم كل مصطلح من هذه المصطلحات:

1.2 الثنائية اللغوية:

ترجع بدايات دراسة هذا المصطلح إلى اللغوي الألماني كارل كرمباخر (KRAMBACHER) في كتاب صدر له عام 1902م عالج فيه ظاهرة الثنائية اللغوية وأصولها وتطورها وأشار بشكل خاص إلى اللغتين العربية واليونانية، ليقترح على اليونانيين التخلي عن "ازدواجيتهم الشرقية"واللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية، كما دعا العرب إلى ترك اللغة العربية الفصيحة وتبني إحدى اللهجات لغة قومية مفضلا اللهجة المصرية. ومع ذلك فإن المتداول هو أن الفرنسي وليام مارسيه كان أول من استعمل هذا المصطلح بالفرنسية (La diglossie) في مقالة نشرت له سنة 1930م تحدث فيها عن الازدواجية في اللغة العربية فعرّفها بقوله :"هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"[5].

ولا يمكن التطرق لهذه الظاهرة دون الإشارة إلى اللغوي الأمريكي تشارلز فيرغسون الذي بحث في هذه الظاهرة وكتب عنها مقالا سنة 1959م يعدّ مرجعا لكل الباحثين إذ قلّما نجد باحثا كتب عن هذه الظاهرة ولم يرجع إليه. يقول فيرغسون في تعريفه لهذه الظاهرة:"هي حالة لغوية ثابتة نسبيا يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية نمط آخر في اللغة مختلف عالي التصنيف فوقي المكانة ، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت أو لجماعة سالفة . ويتعلّم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرّسمية ، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية لكنه لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية "[6]. فميّز فيرغسون في تعريفه هذا بين مستويين من مستويات اللغة ؛ المستوى الأول عالي التصنيف (مرتفع) وتمثله الفصحى، والمستوى الثاني منخفض التصنيف وتمثله العامية. ففي المستوى الأول تستعمل الفصحى في المناسبات الرسمية وفي

الإدارات والمؤسسات الإعلامية والتعليمية. أما في المستوى الثاني فهو لغة التخاطب المستعملة لدى عامة الناس في شتى المواقف الخطابية؛ في المنزل والشارع والسوق...

وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة (الثنائية) لا تختص باللغة العربية فحسب بل هي موجودة في أغلب اللغات ؛ إذ لكل لغة مستويان لغويان : الأول فصيح والثاني عامي" فللّغة الإنجليزية البريطانية مثلا لهجات متعددة في ويلز واسكتلندا وإيرلندا وكانت وغيرها من الأقاليم البريطانية"[7].

ومع ذلك فإن تعريف فيرغسون لم يسلم من الانتقادات بسبب إهماله للحركية والديناميكية الاجتماعية التي تحدث للسلوكيات اللغوية والصراع الدائر بينها من حيث التأثير والتأثر.[8] فتناول (ألان كي 1972م) تعريف الثنائية بشكل مختلف وتعرّض بالنقد لتعريف فيرغسون الذي وصفه بالانطباعي ورأى بأن وضع الازدواجية(الثنائية) لا يميل إلى الاستقرار والثبات كما عرّفه فيرغسون، كذلك فهم الفرق بين النمطين الأساسيين للعربية الفصحى والعامية بين نمط معرّف وهو العامية ونمط غامض التعريف وهو الفصحى؛ فالعامية – في رأيه – نمط معرّف لأن الطفل يتعلمها لغة أولى، أما الفصحى فإنها نظام غامض التعريف لأنها لا تكتسب لغة أولى بل يتعلّمها الطفل فيما بعد في المدرسة . وفي اعتقاده أنه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الازدواجي يميل إلى التباين بل على العكس من ذلك فهو متغيّر[9].

ومن المآخذ على التعريف كذلك هو حصره لمفهوم الثنائية اللغوية في التنوعين اللغويين "فصحى" و "عامية" في الوقت الذي قد تتعايش فيه عديد التنوعات اللغوية داخل المجتمع الواحد، كما في الجزائر حيث تتعايش الفصحى، والعامية، والأمازيغية، واللغة الفرنسية. ومن جهة أخرى فإن تصنيف فيرغسون تناقضه الأوضاع اللغوية ففي "حالة اليونان التي اعتمدها فيرغسون مثالا وأنموذجا لبناء نظريته قد تغيّرت تماما بعد ثلاثين سنة ؛ ذلك أن التنوع الوضيع أي اليونانية الدارجة الشعبية قد أصبحت اليوم اللغة الرسمية في حين صارت اللغة اليونانية الرفيعة القديمة في عداد اللغات الميّتة"[10].

من هذا نخلص إلى أنه لا يمكن أن نسقط هذا المفهوم(الثنائية) على الوضع اللغوي الراهن لأن المعطيات التي بنى عليها فيرغسون تحليله قد تكون عاكسة لوضع العربية في وقت سابق ،أما الآن فإن المعطيات قد تغيّرت واتخذت مسارا مختلفا.

2.2 الازدواجية اللغوية:

إذا كانت الثنائية اللغوية ترتبط باستخدام مستويين مختلفين أو أكثر من اللغة نفسها فإن تعريف الازدواجية ينطلق من استخدام لغتين مختلفتين، وينطبق على الأفراد كما ينطبق على المجتمعات والدول، فالشخص المزدوج اللغة هو" الذي يتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة مع لغته الأصلية ويستطيع أن يستعمل كلا من اللغتين بالتأثير والمستوى نفسه في كل الظروف"[11]. فهي ظاهرة لغوية تتواجد في أغلب البلدان وتعني وجود لغتين مختلفتين في مجتمع واحد.

2. 3التعدد اللغوي:

تتحول الازدواجية اللغوية إلى تعدد لغوي إذا كان الفرد يجيد أكثر من لغتين وكذلك بالنسبة للدول التي تستعمل أكثر من لغتين بل تتعدّد اللغات في بعض الدول بشكل لافت " وخير الأمثلة على التعدد اللغوي هي الهند التي وصفها اللغويون بأنها مارد من الناحية اللغوية الاجتماعية . ففي الهند ما يقارب أربعمائة لغة اعترف الدستور الهندي بخمسة عشرة منها لغات رئيسية يمكن الحديث بها في مجلس الأمّة الهندي إضافة إلى الهندوكية والإنجليزية"[12] .

ولا يمكن الحديث عن التعدد اللغوي دون أن نشير إلى القارة الإفريقية التي تعد من أغنى القارات في التعدد اللغوي " إذ يبلغ عدد اللغات في نيجيريا حوالي 400لغة وفي أثيوبيا 120 لغة وفي تشاد 117 لغة وفي بنين 52لغة وفي السودان 135لغة"[13] .

3. مستويات استعمال اللغة العربية

إن الواقع اللغوي للعربية أفرز العديد من الإشكالات التي تخص الاستعمال اللغوي في المؤسسات الرسمية، وفي التعامل بين أفراد المجتمع، ونتائج ذلك المترتبة عن الثنائية اللغوية بين الفصحى والعامية دفع بالكثير من الباحثين إلى تقسيم اللغة العربية إلى مستويات انطلاقا من واقع الاستعمال الفعلي لها، والخطاب المتداول بين مستعمليها، وفيمايلي نشير إلى بعض هذه التصنيفات كما وردت عند بعض الباحثين العرب:

1.3 مستويات استعمال اللغة العربية عند راجي الزغول:

درس الزغول أربعة أنماط للغة العربية يعرف العرب منها الفصحى والعامية؛إذ يشير إلى أن هذه الأنماط اعتمدها الكتاّب الغربيون أو العرب الذين تعلموا بالغرب وبخاصة أمريكا. ويؤكد أنه لو وضعنا الأنماط الأربعة على خط مستقيم لوجدنا الفصحى على طرفه الأيمن، والعامية على طرفه الأيسر،وقارب كل من النمطين الجديدين أحد الطرفين[14].وهذه المستويات اللغوية هي:

1.1.3 العربية الفصحى:

وتتخذ عدّة تسميات منها: عربية التراث، أو اللغة الأدبية، أو اللغة الكلاسيكية، وهي ما أسماه فيرغسون النمط العالي، وهي عند المسلمين لغة القرآن اقترنت به اقترانا مباشرا وتربطه بها علاقة حميمية قال تعالى:«(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)»[15] وقال أيضا:«(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)»[16].

لذلك فهذه اللغة لها قدسيتها عند المسلمين كقداسة القرآن الكريم يقول أنور شحنة في كتابه عن اللغة العربية وأهميتها في التاريخ:"إن الإيمان بقدسية القرآن فيما يتعلق بمعانيه وكلماته وحتى أدق تفصيلاته أصبحت تشمل وتحتوي اللغة العربية بكليتها، إن مسألة كون العربية أعطية الله . وبناء عليه فهي فوق اللغات جميعا بجمالها وثروتها ونبلها . قد استحوذت بعمق اهتمام وتفكير فقهاء اللغة ومشرعي الإسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم"[17].

ويصف المستشرق الألماني يوهان فك العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم بقوله:" لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد قبل أكثر من 1300 عام عندما رتّل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة ولا ينحصر هذا في الدور الذي لعبته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافة من حيث كونها لغة الدين والحضارة على الإطلاق بل يتجاوزه بمقدار أعظم إلى النتائج التي تركتها غزوات الفتح على أيدي البدو تحت راية الإسلام في لغتهم"[18]. ويضيف قائلا: إن " مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقي حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان وطيد الدعائم ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه نقدهم اليوم . دون جدوى . إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى"[19].

إن أهمية اللغة العربية الفصحى وقداستها عند العرب لا تكمن في كونها لغة القرآن فقط، بل هي حاملة لواء الإسلام وحافظة لكنوز وتراث الحضارة الإسلامية على مرّ العصور يقول أحد المستشرقين:"فوق ذلك كله فإن الفصحى هي مفتاح تلك الكنوز الضخمة من الماضي ... ثباتها لم توازه أية لغة . وفي هذا اليوم يستطيع أي عربي في المرحلة الثانوية من تعليمه إن كان مهتما وقادرا على بذل قليل من الجهد أن يعبر إلى . ويكون في متناوله . السجل الكامل للألف وثلاثمائة عام الماضية"[20]. فالعربية لغة لها ماضيها وتاريخها وهي لغة علم وحضارة امتدت لأكثر من سبعة قرون، وهذه حقيقة شهد بها الأعداء وللأسف يتنكر لها كثير ممّن تأثروا بالثقافة الغربية، فهل يستطيع الفرنسي، أو الإنجليزي، أو الإسباني، أو الإيطالي، أو غيرهم من الأمم أن يقرأ تراث أمته كما هو متاح للعربي؟. لا يستطيع أن يقرأ

أي شيء من تراثه بشكله الأصلي مما يزيد تاريخه على خمسمائة عام أما ما قبل الخمسمائة عام فالإنجليزي يدرس في الإنجليزية الوسطى خليطا من الفرنسية في المقام الأول وما تبقى من الكلمات الجرمانية في لغة أقصيت لقرون عن معترك الحياة بكل الجوانب الرسمية. أما ما قبل ذلك أي ما قبل الغزو النورماندي عام 1066م أي الإنجليزية القديمة فلا يقرأها أو لا يفهمها إلاّ متخصص ولا يتجاوز عدد هؤلاء عدد أصابع اليد الواحدة في الدولة كاملة.[21]

3. 1. 2.العامية:

وهي التي يسميها الغربيون العربية الدّارجة[22]، وسمّاها فيرغسون بالنمط المنخفض. فإذا عدنا إلى الواقع اللغوي العربي نجد بأن هذه العامية في الحقيقة عاميات: فعامية مصر غير عامية الشام و عامية السودان غير عامية الجزائر مثلا، بل قد تختلف العامية في البلد الواحد، ففي الجزائر مثلا عامية الشرق غير عامية الغرب، وعامية الشمال غير عامية الصحراء. ويشمل هذا الاختلاف المستويات اللغوية الصوتية منها والصرفية والنحوية والمعجمية على وجه الخصوص، فهذا المستوى من اللغة يتمايز من منطقة لأخرى ومن بلد لآخر؛ يتمايز بأصواته وبكلماته وبقواعده، إنه النمط الغالب في الشعوب العربية، يستعمله الرجل في بيته، وفي حديثه مع أطفاله وزوجته ويستعمله التاجر في السوق، بل هو الغالب في معظم المواقف والأحوال الخطابية.

ولا شك أن انتشار هذا المستوى اللغوي له عوامل وأسباب منها انتشار الأمية في الوطن العربي بفعل الاستعمار وغياب التعليم ولجوء معظم المتحدثين به طلبا للخفة والسهولة التي يجدونها بغية التخلص من القواعد والضوابط والإعراب الذي يطبع الفصحى ، ففي العامية تختفي بعض القواعد، كصيغة المثنى، ومعظم أوزان الجمع، وصيغ الأفعال، وحركات الإعراب ... ولا شك أن مثل هذا التبسيط يكون على حساب القدرة على التعبير ممّا يجعل العامية قاصرة عن أن تفي بالتعبير عن الأمور الثقافية والفكرية والفلسفية وعلى المتكلم في هذه المواضيع أن يعود إلى الفصحى ليمزجها بتراكيب العامية إن أراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة[23].

3.1. 3. عربية المثقفين:

يتحدث الزغول عن مستوى ثالث من مستويات الاستعمال اللغوي في العربية الحديثة أطلق عليه اسم عربية المثقفين، وهي عامية ممزوجة بالفصحى يستعملها متعلمو بلد عربي واحد فيما بينهم أو متعلمو

بلدان عربية مختلفة حينما يجتمعون. ولمعرفة طبيعة هذا المستوى أجريت عدّة دراسات تحليلية لهذا النمط منها: دراسة (بلانك 1960م) التي حلّل فيها كلام أربعة من الطلبة العرب القادمين إلى أمريكا ، ودراسة قاسم شعبان (1978) التي حلّل فيها كلام ستة من الطلاب العرب (لبنانيان, وسعودي, وعراقي ,وعماني , وتونسي) ودراسة الزغول(1980)التي حلّل فيها كلام عشرة طلبة عرب(سعودي، ومصريان وعراقي، وجزائري، وأردنيان، وسوداني ، وعماني، ومغربي). كانت نتائج هذه الدراسات متقاربة حيث أشارت إلى أن ترتيب الكلام يبقى عاميا، يبقى النحو والصرف عاميا أيضا، ولكن هناك ميل لاختيار الألفاظ من الفصحى واستعمال أصواتها وبخاصة الصحيحة منها ومع ذلك فإن المتكلمين ينتقلون إلى الاصطلاح الأجنبي في كثير من الأحيان. فهذا النمط خليط من العامية وبعض جوانب الفصحى لكنه يبعد عن الفصحى كثيرا.[24]

ويختتم (بلانك) Blanc دراسته بالقول: " إنه الاستثناء وليس القاعدة أن تجد أي كلام متواصل في أي نمط من الأنماط المشار إليها (الفصحى أو العامية)؛إذ يميل المتكلم إلى التنقل من نمط إلى آخر وفي داخل الجملة الواحدة".[25]

كما خلص قاسم شعبان في دراسته إلى أنه" تبقى عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها، وبخاصة في مجالي الأصوات والقواعد والركون إلى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار، وبلد المتكلم، ومعرفته باللهجات الأخرى". [26]

وهو دليل واضح على أن هذا المستوى اللغوي هو أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى.

1.3. 4.العربية الحديثة:

وهي نمط لغوي يختلف قليلا عن العربية الفصحى، تطور بتطور الصحافة وانتشار وسائل الإعلام، فهو اللغة التي تكتب بها الصحف، وتذاع بها الأخبار والبرامج الثقافية، وهو لغة المحاضرات والندوات، يمتاز هذا النمط باللغة المبسطة والميل إلى استخدام الشائع من الألفاظ والبعد عن الإغراب، كما هو شأن لغة الصحافة والإعلام لأنها تتعامل مع شرائح واسعة من المجتمع وغرضها إيصال المعلومة. وهذا النمط متأثر باللغتين الفرنسية والإنجليزية لذلك كثيرا ما نجد ألفاظا وعبارات من اللغتين وجدت طريقها للاستعمال في هذا المستوى من اللغة العربية الحديثة يقول إبراهيم السامرائي: "وإذا عدنا إلى عربيتا الحديثة وجدناها تزخر بمئات الألفاظ الجديدة المولّدة والمعرّبة وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت

مخصصة مقيّدة بنوع خاص في المعنى، غير أن اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عدّ هذا الجديد من الفصيح".[27]

وقد أحصى إبراهيم السامرائي طائفة من الألفاظ والعبارات الجديدة في العربية الحديثة، فمنها ما أصله أعجمي، كالديمقراطية، والإمبريالية، والبرجوازية، والديماغوجية، ومنها كلمات عربية نحتت لتؤدي معانٍ جديدة من ذلك: الرجعية، والرأسمالية، والتقدمية، والانتهازية، والانهزامية... ومنها العبارات المترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية ترجمة حرفية وصارت متداولة في العربية الحديثة نحو: يمثل الرأي العام، ويسهر على المصلحة العامة، وذر الرماد في العيون، ويصطاد في الماء العكر و ويلعب دورا، وكرّس حياته، والضرورة الملحّة، ووضع النقاط على الحروف... فهذه عبارات تستعملها وسائل الإعلام ونسمعها يوميا بل قد نستعملها نحن ولا نشعر البتة بغرابتها، ونظن أنها عربية فصيحة.[28]

2.3 المستويات اللغوية عند السعيد بدوي:

يقسم السعيد بدوي مستويات اللغة العربية تقسيما[29] لا يختلف كثيرا عن التقسيم السابق غير أنه يضيف مستوى آخر، والملاحظ بشكل عام أن المستويات تندرج ضمن مستويي الفصحى والعامية وهذه المستويات هي:

2.3. 1 فصحى التراث:

ويعني بها الفصحى القرآنية، ويحصر استعمالها عند الأئمة وعلماء الدين في الحواضر العلمية الإسلامية كالأزهر، وفي البرامج الدينية، والأفلام والمسلسلات التاريخية. وبذلك فهي تدخل في تصنيف فيرغسون ضمن المستوى العالي أو العربية الفصحى في التصنيف السابق.

2.3. 2 فصحى العصر:

وهي أكثر انتشارا إذ ترتبط بالحياة المعاصرة التي تتطلب استخدامات اللغة لأغراض شتى وفي جوانب متعددة، وخص بالذكر تقديم برامج الأخبار، والتعليق السياسي، والأحاديث العلمية... وبذلك فهي أوسع استعمالا وأكثر تداولا من فصحى التراث.

2.3. 3 عامية المثقفين:

هي اللغة التي يستخدمها المثقفون في المناقشات العلمية والسياسية والفنية، وقد أصبحت عامية المثقفين بمفرداتها وتعبيراتها ومرونتها مستودع الحضارة المصرية ولسان العلم المعاصر.

2.3 .4. عامية المتنورين:

وهي اللغة التي يتعامل بها غير الأميين في شؤون الحياة العملية اليومية من الرواية والأخبار، والبيع والشراء، وما يجري من الحديث مع الأصدقاء عن الطعام والملابس...

2.3 .5. عامية الأميين:

هي اللغة التي تستخدم في البرامج التمثيلية والمسرحيات الفكاهية أو مايعرف "بلغة أولاد البلد" من الجنسين.

فإذا أردنا تقريب الأنماط العامية للتقسيم السابق نجد أن المستويين الثالث والرابع يدخلان في مستوى عربية المثقفين، والمستويين الرابع والخامس في نمط العامية.

3.3 مستويات استعمال اللغة العربية عند خولة طالب الإبراهيمي:

انطلاقا من العوامل والتغيرات التي حدثت للمجتمع الجزائري بعد الاستعمار ؛كالتعريب وديمقراطية التعليم، وانتشار وسائل الإعلام التي عملت على تقليص الهوة بين اللغة الأدبية واللهجات، وبالتالي تقريب المسافة بينهما، ولذلك نجد خولة طالب الإبراهيمي ترفض مخطط فرغسون الذي لم يعد يواكب الوضع الذي تعرفه العربية، وتقول في هذا الصدد:"هذا مخطط جدّ صارم وثابت في رأينا مما يجعلنا نسلّم بأنه دائم نظرا لاستقراره عبر الزمن".[30]

إن وصف فرغسون لظاهرة الثنائية بالثبات النسبي دفع خولة لتعويض فكرة الثنائية بمقاربة مخالفة ترتكز على فكرة السلّم التواصلي حيث يكون الحديث فيه عن لغة واحدة مهيكلة تندرج ضمنها مستويات لغوية ذات علاقة بمختلف البيئات التي تحدد عناصرها كالوسط العائلي والمدرسي... وبهذا تجنّبنا الحديث عن لغة معيارية وأخرى عامية، بل أنموذج منظم على أساس تدرج لغوي يبدأ بالاستعمال الأكثر معيارية إلى الاستعمال الأقل معيارية[31].

قدمت خولة طالب الإبراهيمي تقسيما جديدا للمستويات اللغوية في الجزائر يشترك مع التقسيمات السابقة في أربع مستويات . وإن اختلفت التسميات في بعض الأحيان . ولكنها انفردت بمستوى جديد أسمته عربية المتمدرسين وهذه المستويات هي[32]:

1. اللغة العربية المعيارية أو الكلاسيكية، ومثالها لغة القرآن، أو الفصحى، وفصحى التراث كما في التقسيمين السابقين.

2 . العربية النمطية أو المعاصرة، كلغة الأدب والصحافة.

3. العربية الشفهية المستعملة في أوساط المثقفين(العربية تحت النمطية) وهي لغة التواصل الشفهي.

4. عربية المتمدرسين،وهي اللغة المستعملة خارج المدرسة أو الجامعة

5. العربية العامية، وهي لغة الحي أو القرية

4. علاقة العامية بالفصحى:

من خلال ما قدمنا من مستويات استعمال اللغة العربية الحديثة التي لاتخرج في مجملها عن مجالي الفصحى والعامية، نتبين العلاقة بينهما، إذ تذهب كثير من الآراء إلى أن العامية هي تحول عن الفصحى "لكن بعد تأن ونظر تظهر هذه العامية ليس تحولا فقط، وإنما هي نتاج تفاعل بين العربية وغيرها من اللغات الأخرى ونتاج تطور اجتماعي في الأقطار العربية المختلفة".[33]

إن هذا التنوع أفرز ظواهر لسانية تخص بعض الدول العربية كالجزائر والمغرب فأنتجت ثنائية لغوية ماثلة في التداخل بين الفصحى والعامية وثلاثية لغوية حاصلة في التداخل بين الفصحى والعامية والفرنسية وظاهرة التعددية اللغوية المتمثلة في التداخل بين الفصحى و العامية والفرنسية والأمازيغية. فالمتأمل في العامية الجزائرية مثلا يجدها مزيجا من مجموعة من اللغات تستحوذ اللغة العربية على قسط وافر من الألفاظ فيها، ثم بدرجة أقل اللغة الفرنسية، والأمازيغية، وبعض الألفاظ التركية، وفي الشرق الجزائري توجد ألفاظ من أصل إيطالي، كما توجد ألفاظ من اللغة الإسبانية في عامية الغرب الجزائري، ولاشك بأن هناك عوامل كثيرة تسببت في هذا التداخل بين هذه اللغات لتشكل العامية الجزائرية كالاحتكاك والاستعمار والعوامل الجغرافية كذلك. "إن العاميات العربية هي في هذا الواقع بعيدة عن الفصيحة وليست قريبة منها وهذا الابتعاد نتيجة طبيعية لقرون طويلة من الحكم الأجنبي الذي دفع الفصحى إلى الانزواء

وساعد اللغات الفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية على السيادة والتأثير في العاميات العربية إذ نمت هذه العاميات في مناخ مشبع بالرطانات الأعجمية فزاد ذلك في انحرافاتها الصوتية واختلافاتها الصرفية وألفاظها الدخيلة وتراكيبها البعيدة عن سنن العرب"[34].

ويؤكد هذا الرأي، ما ذهب إليه عبد الرحمن حاج صالح الذي يرى[35] بأن السبب في الاختلاف الكبير بين الفصحى واللهجات هو في اختلاط العربي بالأعجمي من جهة، ومن جهة أخرى هو في بقاء الكثير من العرب على أميتهم وتحول لغة التخاطب الفصيحة القديمة إلى ما سموه بالعامية نسبة إلى غير المثقفين...أما وجود فرق بين لغة الثقافة ولغة التخاطب فهو شيء مشترك بين جميع اللغات إلا أن انتشار الأمية قد يجعل الفرق كبيرا جدا.

ومما سبق لا يمكن أن نسلم بالتباعد بين الفصحى والعامية على وجه الإطلاق إذ يختلف هذا الحكم باختلاف مستوى التعليم، والاحتكاك باللغات الأخرى، فضلا عن تنوع المناطق الجغرافية، ودرجة التأثر بلغة الآخر، فسكان الأرياف على سبيل المثال تقل درجة تأثرهم، وهم الأكثر محافظة على لغتهم من سكان المدن.

5.خاتمة:

بعد تقديمنا لأهم التصنيفات التي اعتمدها بعض الدارسين لمستويات الاستعمال اللغوي في العربية الحديثة التي تمركزت حول نمطين أساسيين: نمط عال، ونمط منخفض كما ذكر فرغسون، أو الفصحى والعامية عند الباحثين العرب، وبين هذين النمطين مستويات متشابهات، نخلص من ذلك بنتائج أهمها:

- إن تقسيم فرغسون قوبل بالرفض من بعض الدارسين لحصره مفهوم الثنائية اللغوية بين النمطين المشار إليهما آنفا، وهو لا ينطبق كليا على اللغات ، وعلى بعض المجتمعات كونها مجتمعات تتعايش فيها لغات مختلفة، وأنماط لغوية من لغة واحدة، كما أن ما أشار إليه في حالة اللغة اليونانية تغيّر مع مرور الزمن.

- بالرغم من تقسيم مستويات الاستعمال إلى أنماط إلا أنه يبقى التداخل بين هذه الأنماط ، وتنقل المتكلمين بينها.

- يميل كثير ممن يستعمل هذه الأنماط إلى استعمال ألفاظ الفصحى، ولكن يبقى ترتيب الكلام، والنحو والأصوات عموما في إطار العامية.

– فرضت الحضارة الغربية الحديثة هيمنتها بظهور بعض المستويات اللغوية المستعملة، التي برزت في لغة الإعلام والصحافة، وأسهمت بذلك في ظهور مستويات لغوية حديثة، كفصحى العصر، والعربية الحديثة.

6.الإحالات:

[1] عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر، موفم للنشر، 2007، ص 195.

[2]عبد الرحمن حاج صالح، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، أعمال الندوة الدولية الفصحى وعاميتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، المجلس الأعلى للغة العربية بالتعاون مع وزارة الثقافة، 4 و5 يونيو2007 الجزائر، (منشورات المجلس 2008)، ص81.

[3]المرجع نفسه، ص81.

[4] ينظر:محمد أحمد العمايرة، بحوث في اللغة والتربية، عمان ، دار وائل للطباعة والنشر ،2002، ص253.

[5]Marçais, William : « la Diglossie Arabe » L’enseignement public, vol .97.N.40(1930)

[6]Ferguson, Charles: « Diglossia », word, vol 15(1959), p326.

[7]علي القاسمي، العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية أعمال الندوة الدولية «الفصحى وعاميتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب»، ص 200.

[8]كمال بن جعفر، استعمال اللغة العربية في التدريس بالجامعة الجزائرية بين الواقع والمأمول، المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، مارس 2012، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص8.

[9] Kaye, Alan « remarks on Diglossia in Arabic: Well Defined, vs.ill Defined, »Linguistics, vol 81(1972) p132

[10]ميجل سيجوان، وليم ف . مكاي،التعليم وثنائية اللغة، تر:إبراهيم بك حمد القعيد، محمد عاطف مجاهد، المملكة العربية السعودية،عمادة شؤون المكتبات،1994، ص9.

[11]محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، الجزائر، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، العدد11، 2006، ص74.

[12]محمد راجي الزغول، دراسات في اللسانيات العربية الاجتماعية، عمان، الأردن، دار اليازوري، 2011، ص12.

المرجع نفسه،ص12.[13]

المرجع نفسه،ص19.[14]

سورة يوسف، الآية 2.[15]

سورة الشعراء، الآية 195.[16]

[17]Chejne,Anwar .(1969)The Arabic Language :Its Role in History ;Minneapolis :University of Minnesota Press.p.9

[18]يوهان فك، العربية . دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، دت، ص503.

المرجع نفسه، ص503.[19]

[20]P.Cachia(1976). « The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature », p12

نقلا عن دراسات في اللسانيات العربية الاجتماعية، ص 22.

[21] ينظر: محمد راجي الزغول، ازدواجية اللغة:طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، الكتاب السنوي الثاني:اللغة والتعليم، بيروت، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، 2000، ص59.

[22]أصل الكلمة هو إدراج، أي تسلسل عفوي لمدرج الكلام يسوده التخفيف لعفويته، ينظر:ص 17من البحث.

ينظر: محمد راجي الزغول، دراسات في اللسانيات العربية الاجتماعية، ص 28،29.[23]

[24] ينظر: محمد راجي الزغول، ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها، اللغة والتعليم، ص 64.

[25] H.Blanc (1960). « stylistic Variation in Spoken Arabic :A Sample of Interdialectal Conversation »in Charles Ferguson,ed.,Contribtions to Arabic Linguistics. Cambridge :Harvard University Press.

[26] K.Shaàban(1978) “ code switching in the Speech of educated Arabs” The Journal of the Linguistic Association of the Southwest3:1, pp.7-19.

[27]إبراهيم السامرائي، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1973، ص 3.

ينطبق هذا على غير المتخصصين في اللغة العربية.[28]

[29]ينظر: السعيد بدوي، مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، القاهرة، دار المعارف، 1985م، ص27 وما بعدها.

[30]KHAOULA TALEB IBRAHIMI, Les Algériens et leurs langues. Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne, Editions El hikma, Alger,1997,p :45.

[31]ينظر :حفيظة تازروتي،اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، الجزائر، دار القصبة، 2003، ص42.

ينظر : المرجع نفسه، ص70.[32]

[33] عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، إربد . الأردن، عالم الكتب الحديث، 2007 ، ص110.

[34]سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية، جروس بروس، طرابلس، لبنان،1992م، ص27.

[35] عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، الجزائر، موفم للنشر، 2007، ص182.

7. المراجع:

1.بدوي، السعيد. (1985)، مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر، القاهرة، دار المعارف.

2. تازروتي، حفيظة. (2003)، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، الجزائر، دار القصبة.

3.بن جعفر، كمال. (مارس 2012)، استعمال اللغة العربية في التدريس بالجامعة الجزائرية بين الواقع والمأمول، المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، ، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

4.حاج صالح، عبد الرحمن. (2007)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، الجزائر، موفم للنشر.

5. حاج صالح، عبد الرحمن. (2007)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر، موفم للنشر.

6.حاج صالح، عبد الرحمن. (4 و5 يونيو2007)، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، أعمال الندوة الدولية الفصحى وعاميتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، المجلس الأعلى للغة العربية بالتعاون مع وزارة الثقافة، الجزائر، (منشورات المجلس 2008).

7. الزغول، محمد راجي. (2000)، ازدواجية اللغة:طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، الكتاب السنوي الثاني:اللغة والتعليم، بيروت، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية.

8. الزغول، محمد راجي. (2011)، ، دراسات في اللسانيات العربية الاجتماعية، عمان، الأردن، دار

9. ساسي، عمار. (2007)، اللسان العربي وقضايا العصر، إربد . الأردن، عالم الكتب الحديث.

اليازوري.

10. السامرائي، إبراهيم. (1973)، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
11. سيجوان، ميجل، وليم ف . مكاي. (1994)، التعليم وثنائية اللغة، تر:إبراهيم بك حمد القعيد، محمد عاطف مجاهد، المملكة العربية السعودية،عمادة شؤون المكتبات.
12.العمايرة، محمد، (2002)، بحوث في اللغة والتربية، عمان ، دار وائل للطباعة والنشر.
13. الفيصل، سمر روحي، (1992)، المشكلة اللغوية العربية، طرابلس، لبنان، جروس بروس.
14. القاسمي، علي. (4 و5 يونيو2007)، العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية أعمال الندوة الدولية «الفصحى وعاميتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب»، المجلس الأعلى للغة العربية بالتعاون مع وزارة الثقافة، الجزائر، (منشورات المجلس 2008).
15. يحياتن، محمد.(2006)، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، الجزائر، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، العدد11.
16. يوهان، فك، (دت)، العربية . دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي.

المراجع الأجنبية:

1.Chejne,Anwar .(1969)The Arabic Language :Its Role in History ;Minneapolis :University of Minnesota Press.

2.Ferguson, Charles: « Diglossia », word, vol 15(1959)

3.H.Blanc (1960). « stylistic Variation in Spoken Arabic :A Sample of Interdialectal Conversation »in Charles Ferguson,ed.,Contribtions to Arabic Linguistics. Cambridge :Harvard University Press.
4.K.Shaàban(1978) " code switching in the Speech of educated Arabs" The Journal of the Linguistic Association of the Southwest3:1.
5.Kaye, Alan « remarks on Diglossia in Arabic: Well Defined, vs.ill Defined, »Linguistics, vol 81(1972).

6.KHAOULA TALEB IBRAHIMI, Les Algériens et leurs langues. Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne, Editions El hikma, Alger,1997

7.Marçais, William : « la Diglossie Arabe » L'enseignement public, vol .97.N.40(1930)